

إشكالية التراث في الخطاب الفلسفي عند زكي نجيب محمود

The problem of heritage in the philosophical discourse
of Zaki Naguib Mahmoud

* زروقي ثامر

المركز الجامعي أفلو الأغواط (لجزائر)

thamerdz2012@gmail.com

تاريخ القبول: 2021/10./19

تاريخ الارسال: 2021 /05/20

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى البحث في مسألة التراث ، التي تعتبر إحدى المسائل التي إنشغل بها المفكرون العرب المعاصرون ، وهي من الإشكاليات الرئيسية في الفكر العربي الحديث والمعاصر ، لما للتراث من حضور في حقل الدراسات الفكرية والفلسفية بصرف النظر عن طبيعة ذلك الحضور وحدوده . وبناء على ذلك فإن كل مشروع للنهوض الحضاري بالأمة العربية والإسلامية قائم عند حسن قراءة التراث وغربلته من كل مما علق فيه من الشوائب التي تسببت في تخلف هذه الأمة. ولعل المفكر المصري زكي نجيب محمود واحد من الذين إتجهوا متأخرين إلى دراسة التراث والإشتغال عليه، إيماناً منه بأن فهم الحاضر متوقف على فهم الماضي. وأن المنتبج لخطابه يجد أن موقفه من التراث قد عرف نقلة لافتة في مساره الفكري. هذه الدراسة تحاول أن تتبع حضور إشكالية التراث في خطاب زكي نجيب محمود ، من أجل الكشف عن قيمة هذا الموضوع في فكره.

الكلمات المفتاحية: التراث ، المعقول ، اللامعقول ، الواقع ؛ التجديد.

Abstract:

This study aims to research the issue of heritage, which is considered one of the issues that contemporary Arab thinkers have been busy with, and it is one of the main problems in modern and contemporary Arab thought, because of the presence of heritage in the field of intellectual and philosophical studies regardless of the nature of that presence and its limits. Accordingly, every project for the civilizational revival of the Arab and Islamic nation is based on a good reading of heritage and sifting it from all of the faults that have caused the backwardness of this nation. Perhaps the Egyptian thinker Zaki Naguib Mahmoud is one of those who tended late to study heritage and work on it, believing that understanding the present is dependent on understanding the past. And that whoever follows his speech finds that his position on the heritage has undergone a remarkable shift in his intellectual path. This study attempts to follow the presence of the heritage problem in Zaki Naguib Mahmoud's speech, in order to reveal the value of this topic in his thought.

key words: Heritage; Reasonable; The Absurd, the Reality; Renewal.

لقد إنشغل المفكرون العرب منذ القرن التاسع عشر وحتى وقتنا الراهن، بالعلاقة بين الوافد والراكد أوبين الثقافة الغربية والثقافة العربية الإسلامية، فمن المفكرين من نظر إلى الأثر الذي يمارسه الفكر الغربي على فكرنا أوثقافتنا، بوصفه غزوا فكريا أوثقافيا، وبالتالي دعوا إلى سد أبواب ونوافذ الثقافة العربية أمام رياح الثقافة الغربية، حتى لا تقتلعنا من جذورنا، والمطالبة بالتحصن بالموروث الثقافي العربي الإسلامي. فلم يكن إهتمامهم بالتراث مستقلا بذاته، بل كان له علاقة بالآخر (الغرب)، فحاولوا معرفة الذات من جديد، لتحديد العلل والأسباب التي تمنع العربي المسلم من المشاركة في الحضارة المعاصرة.

ويظهر جليا للعيان أن المفكر "زكي نجيب محمود" هو أحد هؤلاء المفكرين العرب المعاصرين، الذين إهتموا بالبحث في التراث العربي والإسلامي، فكيف كان موقفه من مسألة التراث؟ هل كان رافضا له أم مؤيدا له؟ ماهي طريقة قراءة التراث والإستفادة منه حسب المفكر زكي نجيب محمود؟ ماهي عناصر القوة والضعف في هذا التراث؟ هل كان موقف زكي نجيب محمود من التراث ثابتا أم متغير؟.

1. مفهوم التراث:

1.1 الدلالة اللغوية للتراث:

جاء في كتاب لسان العرب "الورث، الورث، والإرث، والوراث، والتراث واحد والميراث أصله مِيْوَرَاتٌ إنقلبَت الواو ياء كسر ما قبلها والتراث أصل التاء فيه واو" والتراث والإرث والميراث: ما ورث وقيل: الورث والميراث والميراث في المال، الإرث في الحسب "والتراث ما يخلقه الرجل لورثته والتاء فيه بدل من الواو" وفي حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إِلَيْكَ مَا بِي وَلَكَ ثَرَاي" ، أي في أصل صدق وهو على إرث من كذا على أمر قديم توارثه الآخر عن الأول كما تمكنا أن نفهم من هذا التعريف أن التراث مثله مثل الإرث والميراث الذي يتركه الميت للحي كذلك هو شأن التراث هو بمثابة ترك الماضي في الحاضر الذي خلقه لنا الأسلاف.¹

أما صاحب المعجم الوسيط فيعرفه على أنه مشتق من الإرث: وهو بقية الشيء والميراث والرّماد والأمر القديم توارثه الآخر عن الأول. وفي حديث باب الحج قوله "صلى الله عليه وسلم: "إِنكُمْ عَلَى إِرْثٍ مِنْ إِرْثِ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ"². وجاء في المعجم الوجيز على أن كلمة التراث مشتقة من مادة ورث ويقال ورث فلان المال ومنه وعنه يرثه ورثاً وإرثاً، ويقال: أورثه المرض ضعيفا والحزن همأً، والتراث يعبر عن الإرث والقيم الإنسانية المتوارثة.³ كما وردت لفظة التراث في القرآن الكريم في قوله تعالى: "وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا وَيُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا" سورة الفجر، الآية 23. فمعنى تَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أي الميراث " أَكْلًا لَمًّا " أي مِنْ أَيِّ جِهَةٍ حَصَلَ لَهُمْ مِنْ حَلَالٍ أَوْ حَرَامٍ. كما تعني كلمة التراث في اللغة الإرث

¹ - ابن منظور، (1992)، لسان العرب، مج2، دارصادر، بيروت، لبنان، ط2، ص 199-201.

² - شوقي ضيف، (2004)، المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط4، ص14.

³ - نبيل عبدالسلام هارون، (1994)، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، مصر، ط1، ص 11.

أو الميراث وهي تدل على التقاليد والأمجاد القومية والشواهد الحضارية والثقافية الموروثة عن الأجداد فنقول مثلاً: تراث بلد أو تراث شعب".⁴

2.1 الدلالة الإصطلاحية للتراث:

إذا كان الباحثون يتفقون على أن التراث ينتمي إلى زمن الماضي، فإنهم يختلفون في تجديد هذا الماضي، فبعضهم يرى أن التراث: هو كل ما وصل إلينا من الماضي البعيد، ويعرف على هذا الأساس بأنه كل ما ورثناه تاريخياً. ويعرف المفكر "حسن حنفي" التراث: "بأنه كل ما وصل إلينا من الماضي داخل الحضارة السائدة فهو إذن قضية موروثة وفي نفس الوقت قضية معطى، حاضر على عديد من المستويات وأما بعض الباحثين فيرون أن التراث" هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي سواء ماضينا أم ماضي غيرنا سواء القريب منه أم البعيد، هذا التعريف عام وشامل، أما المفكر "محمد عابد الجابري" يعرف التراث بأنه: الجانب الفكري في الحضارة العربية الإسلامية العقيدة الشرعية، اللغة، الأدب، الفن، الكلام، الفلسفة والتصوف.⁵

ويعرفه بعض الباحثين بأنه "كل ما خلفته الأمة من إرث ديني وثقافي وأدبي وعلمي حضاري وفلكلوري فالتراث بالمفهوم الحديث والمتداول هو كل ما وصل إلينا مكتوباً في علم من العلوم أو محسوساً في فن من الفنون، مما أنتجه الفكر والعمل في التاريخ الإنساني عبر العصور، فكل أمة إذن تراثها الذي هو ثمرة فكرها وعقائدها وحصيلتها العقلية والروحية والإبداعية.

ونجده أيضاً عند المفكر "جابر عصفور": "بأنه ما ورثناه تاريخياً عن أسلافنا الذين هم الأمة البشرية التي نحن امتداد طبيعي لها، فالتراث ميراث إنساني لجهود بشري خلفه الذين أورثونا إياه".⁶ ويعرفه آخر: بأنه نتاج بشري يعبر عن كينونة الذات ضمن شروط تاريخية أسهمت في تشكيل خصوصيات الأفراد الذين أنجزوا بفعل الإبداع ورؤيتهم الخاصة للوجود، وهو إن كان ثابتاً لدى منتجيه فهو متحول في الأزمنة والعصور، ويرى المفكر "فهمي جدعان": "أن التراث عبارة عن مجموعة من المواقف وليس مجموعة من المعارف".⁷

فالتراث عبارة عن موروثة ثقافي وإجتماعي ومادي الذي وصل إلينا من الماضي البعيد والقريب، لأنه يراعي الشمولية في تحديده فهو يضم كل المقومات الثقافية كالعلم والأدب والتاريخ واللغة والدين والمقومات الاجتماعية كالأخلاق والعادات والتقاليد".⁸

3.1 مفهوم التراث عند زكي نجيب محمود:

⁴ - حنفي حسن، (1998)، التراث الإسلامي، دراسة تاريخية ومقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط1، ص 11.

⁵ - حنفي حسن، (1992)، موقفنا من التراث القديم، المؤسسات للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة "مصر"، ط4، ص 15-19.

⁶ - الجابري محمد عابد، (1991)، التراث والحداثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، "لبنان"، ط1، ص 45.

⁷ - بن حامد عيلة، (2017/2016)، مفهوم التراث في النقد الحديث: المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، في تخصص الأدب العربي، كلية آداب ولغات، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص 37.

⁸ - حنفي حسن، موقفنا من التراث القديم، مرجع السابق، ص 24.

يعتبر المفكر "زكي نجيب محمود" التراث أنه: "عالم فسيح الجنبات، كثير الابعاد وعميق الاغرار فيه اصول الدين، وفيه المذاهب الفقهاء، وفيه الشعر وفيه النثر الأدبي، وفيه الفلسفة وفيه الكتب المتصوفة، وفيه علوم اللغة وفيه العلوم بكل أنواعها"، فهو التراث الذي امتزجت فيه جميع المعارف والعلوم ولم يقتصر على الفقه والدين فقط، وإنما حتى العلوم النظرية الأخرى كالفلسفة والشعر.⁹

إن جميع هذه التراكمات والمتكديسات الضخمة من الافكار والمأثورات، والكتب والمباني، فهي في مجموعها تمثل المكون الأساسي للتراث الإسلامي كما يعطي مفهوما آخر للتراث في موضع آخر من حيث أنه "شروح الدين ونظم الشعر وإرسال الحكمة والشجاعة في القتال وإكرام الضيف وما الى هذه الجوانب من الحياه اسلافنا" وهو مجموعة السلوكات والصفات الخلقية الحميدة التي ينبغي على الانسان ان يتميز بها.

2- موقف زكي نجيب محمود من التراث:

يكتسي التراث أهمية كبيرة بإعتباره يشكل وجدان الأمة، فهو يعبر عن هويتها وشخصيتها، كما يعكس تاريخها ويجسد حضارتها. وبالنسبة لموقف "زكي نجيب محمود" من التراث تميز بالتغير وعدم الثبات، فقد مر فكره بثلاثة مراحل هي: أولاً/ المرحلة الميتافيزيقية الماورائية بدأها في السنوات الأخيرة من عشرينات القرن، وإمتدت إلى غاية الثلاثينات، وهي مناطق عليها بالمرحلة التقليدية التي يذكرها بقوله: « هي فترة كان الكاتب فيها مستمعا لما يقوله الآخرون أكثر منه ناطقا بما عنده »¹⁰.

ثانياً/ المرحلة الوضعية المنطقية، تمثل هذه المرحلة بداية زكي نجيب محمود عودته من البعثة العلمية إلى إنجلترا - لندن، عند ما تعرف على الوضعية، ولقد إطلع وقراً عن "آير" واستمع إلى محاضراته في مناقشة وتحليل وشرح هذا المذهب، التزم فيها بمبادئ الوضعية المنطقية، كان رافضاً للتراث ورأى أنه يقرأ لمجرد التسلية ولادور له في ترقية الأمة وتقدمها.

ثالثاً/ مرحلة العودة إلى التراث العربي الإسلامي، وتسمى بالمرحلة التوفيقية، والتي شهدت الإهتمام بالتراث العربي قارئاً وباحثاً عن الافكار الجديدة فيه وعن سمات الهوية العربية التي تجمع بين الشرق والغرب وبين الحدس والعقل وبين الروح والمادة وبين القيم والعلم.

3- قراءة التراث العربي وتمييز "زكي نجيب محمود" بين المعقول واللامعقول فيه :

لم تكن لدى المفكر "زكي نجيب محمود" الفرصة الكافية لقراءة التراث العربي، والتعمق فيه، مع العلم أنه من المثقفين العرب الذين تفتحت عيونهم على الفكر الأوروبي، الذي أعتبر في قمة الوعي، الذي وصل إليه الإنسان آنذاك. ولكنه مراحل تفكيره الأخيرة أيقظته صحوة قلقة فوجئ من خلالها بأن من الإشكاليات الجوهرية التي أرقت الوطن العربي في حياتنا الثقافية الحالية والراهنة، ليست كم أخذنا من ثقافة الحضارة الغربية، وما ينبغي أن نزيده؟ فليست هذه هي المشكلة، وإنما هي حقيقتها، فعلى هذا الأساس يمكن لنا أن نطرح سؤالاً جوهرياً، وهو: كيف بين ذلك الفكر القادم أو الوافد إلينا، الذي بغيره يلفت منا عصرنا ثقافتنا وتراثنا والذي بغيره تقلت منا عروبتنا وإسلامنا وأصالتنا ؟

⁹ - محمود زكي نجيب (1993)، عربي بين ثقافتين، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، ص 191.

¹⁰ - محمود زكي نجيب (1985)، قصة نفس، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، ص 138.

إن الرؤية الأولى التي نظر بها المفكر "زكي نجيب محمود" إلى التراث العربي والإسلامي، لم تكن فاحصة ودقيقة تستدعي البحث والتأمل والتبصر، بل هي على الأقل إجابة عن بعض الإشكاليات والقضايا التي تتعرض بنية العقل الإنساني عامة، والعقل العربي خاصة. لقد كانت نظرة تكتسي الطابع الفلسفي للتحليل المنطقي، فغدت غير ذات إهتمام، بل مجرد لحظة ونزوة عابرة سطحية حول مبادئ وأسس وقواعد التراث العربي، فكان من جراء ذلك هو أنه في بادئ الأمر قد دعا إلى تعرية التراث العربي، ولا سيما دحض تلك اللاعقلية التي تتباين وتختلف في الأساطير، والخرافات، التي تشكل خطرا على الذهن البشري، وعائق يمنعه من الخوض في المسائل، والقضايا على اختلاف درجاتها، سواء منها الرياضية أو الطبيعية، فيقول "زكي نجيب محمود" في هذا: « وعقيدتي هي أن في تراثنا العربي، إلى جانب عوامل سنذكرها في حينها عوامل أخرى، تعمل كأشبع، ماتستطيع فعله في كل مافي الدنيا من إنحلال وإسفار، وأنه لعبث أن يرجوا العرب المعاصرون لأنفسهم نهوضا، أو يشبه النهوض، قبل أن يفكوا عن عقولهم تلك القيود، تتطلق نشيطة حرة نحو ما هي ساعية إلى بلوغه، إنه لأبناء إلا بعد أن نزيل الأنقاض، ونمهد الأرض ونحضر للأساس المتين القوي « 11، ومما لاشك فيه أن التعامل مع التراث لم يكن أمرا سهلا أوهينا حول جسامته وتشعب وتعقدتاي التراث العربي الإسلامي، بقدر ما كان نتيجة حقب تاريخية، خاضها لبناء وتأسيس نظرة فلسفية، فكان أمرا اضطراريا وحتميا أن يدرس ويقرأ تراثنا الفكري، بإعتباره واحدا من المفكرين من الجيل العربي.

فمن أجل ذلك يذكر لنا المفكر "زكي نجيب محمود" السبب بقوله: « و شاء لنا القدر الغشوم، أن نستيقظ لنجد أنفسنا في قبضات المستعمرين، وكان من الطبيعي أن نوجه الطاقة الثائرة، كلها أولا نحو هؤلاء المستعمرين، لننتخلص من قيودهم، ثم ننصرف بعد تنظيم البيت مادمنا قد أصبحنا سادته « 12، والهدف والغرض من هذا كله هو محاولة تشكيل الهوية الشخصية، على مستوى الذات وعلى مستوى السلوك الجماعي لبقية الأفراد الآخرين، فالموجود الذي نعنيه، والذي يرجو به الداعون إلى إحياء تراثنا، أن يجيء هذا الإحياء وسيلة إنقاذ ممانحن فيه، وطريقة حياة جديدة، نحياها في المستقبل القريب أو البعيد، هو ذلك الوجود تتحول وتتغير به الثقافة المعينة، إلى ثقافة حية تدفع صاحبها في مسالك الحياة اليومية العلمية، إنه مامن خطوة يخطوها الإنسان في حياته إلا وراءها خلفية فكرية، إستمدتها من التقاليد والعادات والأعراف بواسطة التربية أو عن طريق الدراسة بواسطة التعلم. ويرى كذلك أنه من الضروري أن ندرس التراث، والعادات والتقاليد وأعراف البيئة التي نعيش فيها، ولكن ليس في لحظة ما نتخلي عنها تخليا كلياً ومطلقاً نتيجة الإنبهار بحضارة الغرب، والعكس كذلك ألانبقي منغلقيين على ذواتنا وأنفسنا نهتم فقط بما تركه وأنجزه الأسلاف من إنجازات، دون أن نكون على بينة ودراية ووعي بما يحدث خارج مجتمعنا من علم، وما يتفرع عنه من تقنية جد متطورة، إذن فالمشكل الجوهرى والرئيسي في حياتنا الثقافية والعلمية. كما يرى مفكرنا يكمن في السؤال التالي: كيف نوفق بين الثقافتين، أي بين الأصالة والمعاصرة أو بين التراث والحداثة؟، يقول المفكر "زكي نجيب محمود": « نحن أحوج ما نكون اليوم، إلى سند من التراث يسندنا في الدعوة إلى حرية الفرد في فكرة وسلوكه، وفي جملة التبعة عن نفسه، دون أن يحمل عنه هذه التبعة ولي أوحاكم، ونحن

أحوج مانكون إلى سند من التراث ، يسندنا في الدعوة على مشاركة الفرد في حياة المجتمع مشاركة فعالة مسؤولة، لعلنا نقضي على هذه اللامبالاة العجيبة، وهذه السلبية وهذا الإستهتار «13. وعلى هذا الأساس، يمكن لنا أن نلمس من فكر "زكي نجيب محمود" نظرة توفيقية، سادت جل مؤلفاته وأعماله الفكرية، والتي كانت بمثابة رؤية واضحة يلاحظها ويستشفها الباحث، وهويطالع هذه الأعمال، فتعمل هذه النظرة أو الرؤية على إبراز الجوانب الأكثر فعالية، وقدرة على تيسير وتسهيل مهام التحديث، أو التجديد إن صح هذا التعبير، ذلك أن التراث العربي الإسلامي الذي تناوله وعالجه، ينطوي على مضامين تتأرجح بين العقل والوجدان، وبين العقل واللاعقل، وإذا كانت الرؤية السائدة والمنتشرة للتراث العربي الإسلامي لا تميز بين هذه الجوانب، وفي هذا السياق يقول: « فإن ذلك يميل بالفرد إلى أن ينحصر في أهدافه، حتى لو كان بعد طوفان، يغرق الأرض وما عليها، وأنا لنلاحظ تناقضا يلفت النظر فينا الفرد من أفرادنا اليوم، يوشك أن يلقي بزمام أدواره الاجتماعية والسياسية كلها إلى غيره يسيرها له، فتتعدم حركته الفردية إنعداماً تاماً » 14، ومن جهة أخرى يدعو "زكي نجيب محمود" في موقف آخر إلى الأخذ من الحضارة الغربية التطبيقات العلمية لتزداد تحديثاً وتجديداً وعصرنة وتقدماً، ونأخذ في الوقت نفسه أوفي اللحظة ذاتها من التراث تلك المواقف العقلية لنبقى عرباً أولنحافظ على هويتنا العربية، لذلك يقول: « أغلب الظن عندي، هو أن أوضح سمة تميز العربي في ثقافته، هي أنه يوازن في دقة وبراعة بين وجهي الحياة، فلواقع المحسوس مجال، ولما وراءه مجال آخر » 15. ولأن النهضة والتقدم في المجتمع الواحد يقاسان بمستوى نبوغ الفكر والوعي لأولئك الأفراد الذين يؤسسون ويشكلون قاعدة وتركيبية هذا الجسم الاجتماعي، وفي هذه النقطة الحساسة، يقول المفكر "زكي نجيب محمود": « نذهب إلى العالم الأنجلوسكسوني إنجلترا وأمريكا بصفة خاصة، فنجد الفلسفة السائدة فلسفة تحليل العام وقضاياها، لنرى حتى تكون الصيغة العلمية صادقة، وحتى لا تكون، لكنها لا تعبأ بالإنسان، إذا تترك أمر الإنسان إلى الأدب والفن، فلنأخذ أن نقول لهم أننا نسايركم في فلسفة العلم، لكننا نوجب أن تضاف إليها فلسفة للإنسان الحي، الذي ينبض في صدره قلب، ويطمح في حياته إلى أبعد الغايات » 16.

ويمكننا بناء على ما تقدم، أن نبرز موقف المفكر "زكي نجيب محمود" من التراث ، من خلال رفضه التام والكلي لوجود أي صراع وتقاتل وشقاق فكري أو مذهبي، بين جملة من الفلسفات التي بناها وأسسها الإنسان ، مبرزاً وموضحاً أن كل فلسفة من هذه الفلسفات، تعد وتعتبر جواباً صريحاً سؤال يدور ويتعلق بجانب واحد من الواقع دون التطرق أو ذكر الجوانب الأخرى .

وعلى هذا الأساس، يمكن لنا القول بأن الجدلية المادية تحاول أن تجيب عن السؤال الجوهرى الذي حول المقدمات التي أوصلتنا إلى هذا الوضع المتردي والصعب في العصر الراهن، وكذلك المدرسة البراجماتية تلقي إهتماماتها على جملة المرامي والأهداف التي يريد هذا الواقع أن يظفر بنتائجها لتكون مجسدة تجسيدا لا تقاوم مقبولا وفق الدور المقصود، أما الفلسفة التحليلية والوضعية المنطقية، فتحاول أن تجيب عن السؤال القائل: من صنع وأسس هذا العالم كله ؟. ومن ذلك نستخلص

13 - المصدر نفسه، ص 123.

14 - محمود زكي نجيب (1982)، ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق، القاهرة مصر ط3، ص 85

15 - المصدر نفسه ، ص 85.

16 - محمود زكي نجيب (1981)، في حياتنا العقلية، دار الشروق ، القاهرة ، مصر ، ط1، ص 192.

في الأخير هوأن هذه الفلسفات رغم ماتحتويه من تناقضات ظاهرية،هي فلسفات متكاملة فيما بينها،ولكل فلسفة من هاته الفلسفات جانب إهتمامها ومنهجها ،وموضوعها،فعلى هذا الأساس دعا "زكي نجيب محمود" إلى ضرورة النظرة والرؤية الشمولية للتيارات الفكرية حفاظا على وحدة العصر .

ويمكن لنا أن نستنتج من قراءته للتراث العربي الإسلامي،والبحث عن الصيغة والمعادلة والتركيبية التي تجمع بينه وبين ثقافة العصر،هوكيف تتحول من ثقافة اللفظ إلى ثقافة العلم والتقنية يشتي آفاقها وأبعدها ؟ يقول المفكر "زكي نجيب محمود" في إجابته عن السؤال المطروح أمامنا : « لولاها لتعرت حياتنا الفكرية "حضارة الغرب" على حقيقتها،إذا هي لاختلعت كثيرا عن حياة الإنسان البدائي في بعث مراحلها الأولى » 17.

1.3 الجانب المعقول في التراث العربي ومواضيعه :

لقد بين لنا المفكر "زكي نجيب محمود" الغموض الذي يعتري تراثنا، بحيث يرى أن تراثنا الفكري يحتوي في ثناياه جانبين هما: تراث معقول ،والآخر لامعقول ،وقد كان الهدف الجوهرى ،الذي كان يرمى ويسعى إليه في دراسته وقراءته الجادة والهادفة للتراث العربي، هوالكشف والبحث عن الجوانب العقلية منه. كشف لنا فيه أن أسلافنا كانت لهم وقفات لاعقلية،كما يرى أيضا أن التعامل مع التراث العربي الإسلامي يجب أن نخضعه إلى تحليل وتفسير،ودراسة نقدية جادة وهادفة يعي ويدرك الجيل العربي والإسلامي اليوم دور وأهمية وقيمة التراث العربي والمبادئ والأسس التي يتكون منها،حتى يدرك بأنها هي الأساس القوي والمتين الذي بواسطته نبني ونؤسس وعينا وإدراكنا،لذلك يقول: « إلى أي حد أستطع أن أجد العون،على حل مشكلاتي العصرية عند أسلافي ،ولو وجدت أن لاعون، يمكن أن أستمد منه من هؤلاء الأسلاف،كانت الدعوة إلى إحياء التراث،دعوة تغري السامع بنعمتها الجذابة،لكنها لاتتطوي على نتيجة عملية ، سوى مايجدوه محتوفوا الدراسة الأكاديمية النظرية من رياضة للذهن،ومن حفاظ على الأثر بعد حين،يتذكره أبناء العصر أن قد كان لهم آباء عاشوا حياتهم في نشاط فكري » 18، وتبرز الوقفات العقلية عند المتكلمين،الذين ينصب قولهم ورأيهم على الكشف على أفكار أهل البدعة،ولقد إعتد في الرد على خصومهم،مقدمات تسلموها منهم إماعن طريق التقليد وإما بإجماع الأمة، وجعلوا إهتمامهم وشغلهم الأكبر هو إستخراج أوجه التناقض والتضارب،الذي يمكن في الأقاويل،بعبارة أخرى : أن المتكلم ينطلق من مقدمات أخذها وتسلمها من خصمه،ثم يحاول عن طريق البرهان الوصول إلى نتائج تبطل وتتحض وتتناقض تماما المقدمات التي إنطلق منها.لذلك يقول المفكر " زكي نجيب محمود": « ومرة لو جاءت عبارات الغزالي في هذا السياق أجراسا تدوي في آذاننا لتوقظنا على حقيقة ساطعة صارمة، وهي أن طرائق المتكلمين التي يدافعون بها عن العقيدة،على أساس التسليم بالعقيدة نفسها،من حيث المبدأ لم تقنع رجلا كالغزالي مع أنه يشاركهم في نوع المشكلات المعروضة للحل،فما بالك بأبناء هذا العصر، والمشكلات نفسها لم تعد مشكلاتهم » 19،وتتجلى بشكل أكثر تلك الوقفات في الشعر العربي،وذلك من خلال الصياغة،مع العلم أن الشاعر يستخدم عقله الثاقب لصياغة العبارات

17 - محمود زكي نجيب ، تجديد الفكر العربي، مصدر سابق، ص 86.

18 - المصدر نفسه، ص 86.

19 المصدر نفسه، ص 90

وتركيبتها في بيت من الشعروهي في نظره عملية خالصة، لأن الشعرفي بعض الأحيان عن واقع محسوس خالص، ويتضمن أحيانا أخرى بعض الحكم، ويهدف على غابات، كما الوقفات بشكل وبصورة أوضح عند أسلافنا الأوائل في إيغالهم لطلب معرفة أوضاع وأماكن الكلمات في اللغة العربية .

لقد نوه المفكر "زكي نجيب محمود" بمواقف "أبي حيان التوحيدي" الذي عاش في القرن العاشر الميلادي، وخاض عراكا مريرا وطويلا جدا هذا من جهة، وشعورا وإحساسا بالغربة في عصره من جهة ثانية، مما أدى به إلى إختيار الحياة الدنيوية بوظائفها ومشاغها والإقبال عليها إقبالا نشيطا، أو الإبتعاد عن كل ماله صلة بالحياة الفانية خصوصا، وهو يواجه هذا الغليل المفعم والمملوء بنار الغيظ إلى علماء عصره، وهنا يقول "أبو حيان التوحيدي": « والعجب أنك أيها العالم الفقيه، والأديب النحوي تتكلم في إعرابه "ويقصد هنا القرآن الكريم" وتأويله وتنزيله. وكيف ورد وبأي شيء تعلق، وكيف حكمه، فيما خص، وعن دول وشمل، وكيف وجهه، وكيف ظاهرة وباطنه؟ » 20، ف"أبو حيان التوحيدي" كما يراه المفكر "زكي نجيب محمود" أنه أفضى إلى العلماء والفقهاء، بأنهم لم يخدموا العقيدة، بل لجأوا إلى دراسة الكتاب يتدبرون معانيه، ومقاصده ويعيدون الرواية حفظا، دون أن يفسروا ويشرحوا شيئا مما قيل وذكر، فهم بعيدون كل البعد عن النص الشرعي في إعتقاده، وتأويلاتهم زائفة وباطلة، جوفاء وفارغة من القصد النبيل تجاه مبادئ وأسس التراث العربي، ولقد أول أبو حيان التوحيدي في موقفه هذا للعقل دورا كبيرا في الحياة، ورأي بأن هذه المملكة النظرية الموهوبة للإنسان هي التي تعالج جملة الأمور والقضايا والمسائل على إختلاف درجاتها وتوقعاتها، برؤية متمعنة، ويتفحص المفكر "زكي نجيب محمود" كتاب "أبي حيان التوحيدي"، فيجد فيه مواضيع وحوارات فكرية بعيدة الأفق. كذلك يرى أن "أبا حيان التوحيدي"، قد تطرق إلى العلوم وإعتبرها مفتاح المعرفة الذي يستطيع به الإنسان مجابهة كل الظواهر الطبيعية، وجعلها طبيعة له حيث بهانكشف القوانين، بواسطتها ندرس الفوارق وعلاقتها مع بعضها البعض، فبالعقل نتأمل سيران الطبيعة من أين تستمد وجودها وديمومتها الزمكانية، وفي هذا المقام يقول: « في علم الطب أنه وسط الصواب والخطأ، وفي الحياة أنها وسط بين السلامة والعطب، وكذلك العلم صورة المعلوم في نفس العالم، وأنفس العلماء عامة بالفعل، وأنفس المتعلمين عامة بالقوة والتعلم هو إبرازها بالقوة إلى الفعل، والتعليم هو بروز ماهو بالقوة إلى الفعل » 21.

2.3 الجانب اللامعقول في التراث العربي ومواضيعه :

مما لا شك فيه أن المفكر "زكي نجيب محمود"، قد بين لنا أن التراث العربي، يحمل في مضمونه بعض الخرافات، التي تركت وأحدثت تشنجا وفجوات سحيقة، داخل هذا الموروث العربي الإسلامي، وعليه كانت وصمة عار لدى العرب أيام معاشتهم لتلك الظروف، والحقبة التاريخية، وأحتى بالنسبة إلينا، حتى لكنك عندما ترجع إلى دراسته تأخذك الحسرة والندم والقلق، والعجب كل العجب خصوصا ما حدث في خضمه من أحداث وظواهر، إنه لمن الصعب أن ننهض أو نتقدم خطوة إلى الأمام، دون أن نقضي على تلك المزلات واللاعقلات التي دنست وشوهت عادتنا وأدبنا وتقاليدينا وأعرافنا المختلفة والمتعددة، وفي هذا يقول المفكر "زكي نجيب محمود": « إجتاحت جماهير الناس موجات من اللاعقلانية الهيمانية، بل ربما كانت هذه اللاعقلانية مغرورة في طبائعنا، تنفر ممن يحاول إزالتها، ويمثل مع من يزيدها، في أنفسهم رسوخا، فجماهيرنا

20 - محمود زكي نجيب، تجديد الفكر العربي، مصدر سابق، ص 100.

21 - محمود زكي نجيب (1974)، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 274، ص 210.

دراويش بالوراثة، فإذا عقل بعضهم كان قبسا دخيلا على طبع أصيل. ولا عجب أن تروج فيهم الخرافات والكرامات، والخوارق بأسرع من رؤية البرق إذا لمع « 22. وهكذا يبقى يقلب لنا محتوى التراث العربي الإسلامي حيث يجد فيه ما يذعن ، ويقل من مكانه السلف في حياتهم سواء على المستوى الفكري أو السياسي، وهنا بالضبط يضرب لنا مثلا من التراث كان شبيها النقاش الذي جري بين السوفسطائيين، والفيلسوف اليوناني "سقراط" تمكن بذلك موضوعية ونزاهة النظرة في مدى عمقها وتوغلها في ثنايا التراث العربي الإسلامي وإسهامه في هدم تلك الخرافات، والأساطير والغيبيات التي حوّاها العربي الإسلامي، ويظهر هذا جليا وواضحا من خلال تلك القصة التي جرت بين "ال خليفة المهدي" والشاعر "بشار بن برد".

مما تقدم يمكن أن نستنتج أن الإتجاه اللاعقلي في تراثنا العربي الإسلامي، كما يراه المفكر " زكي نجيب محمود" ، هو اعتماد أسلافنا الأوائل في بعض المواقف على العاطفة وحدها والرغبات والميول والمشاعر، ولقد تميزت هذه المواقف بأنها خاصة بأصحابها، ولا يمكن الإستفادة منها في حياتنا الراهنة، لأنها حالات وإدراكات ظرفية وأنية مباشرة، كلها من نتاج العقل الخالص، فوجب علينا الإنصراف عنها، وعدم تمثلها فيكون هذا هو الجانب الذي نهمله من التراث العربي الإسلامي . وبعد ذلك يذهب المفكر "زكي نجيب محمود" في تحديده لمعني العقل، فيقول : « تتقيد بالروابط السببية التي تجعل من العناصر المتباعدة حلقات تؤدي في النهاية إلى نتيجة معينة » 23، فإن الجانب اللامعقول في تراثنا الفكري هو الصنف الثاني من مورثنا الثقافي مجاله الوجدان وما يدور مدارها، إنه النوع الثاني الذي يقول عنه : « ثمة ضرب آخر من الوقوف قلنا عنه حالة تسري في كيان صاحبها، فيصبح محبا أو كارهها، غاضبا أو راضيا » 24، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن اللامعقول في نظر "زكي نجيب محمود" هو حالات تسكن الإنسان، وليست عملية إنتقال من مقدمة كبرى إلى نتيجة، ويظهر هذا الجانب في شطحات المتصوفة وحالاتهم الوجدانية، كما يتجلي في الإيمان بالخرافات والإعتقاد بفعل السحر والتنجيم، وكل ماله علاقة بهذه الخوارق التي تأتي عن طريق الشعوذة، وشيئا من هذا القبيل .

لقد نظر المفكر "زكي نجيب محمود" إلى التراث نظرة خاصة وفق المنهج، الذي رآه مناسبا. فأعاد إحياءه ورأى فيه تراثا معقولا وتراثا لامعقولا، وهو في كل ذلك لم يخرج عن نطاق رؤية متجددة للتراث وفق ما رآته الوضعية المنطقية .

4- جوانب الإستفادة من التراث: ماذا نختار من تراث الأقدمين؟.

يجيب المفكر "زكي نجيب محمود" عن هذا بقوله : « نأخذ من تراث الأقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا يضاف إلى الطرائق الجديدة المستحدثة » 25، بإعتبار أن أي ثقافة، سواء كانت قديمة أو معاصرة، هي وسائل للعيش، فإذا كان لدى القدماء طريقة تقيدنا في حياتنا المعاصرة فلنأخذ بها، وكان هذا هو الجانب الذي نبعثه من التراث، أما ما لا ينفع نفعا عمليا للتطبيق، فيجب علينا تركه وإهماله، فإذا كان هدفنا هو التقدم، كان علينا أن نختار ما يساعدنا على هذا، فيكون هذا هو هدفنا،

22 - محمود زكي نجيب ، تجديد الفكر العربي ، مصدر سابق، ص 163.

23 - محمود زكي نجيب ، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، مصدر سابق، ص 17.

24 - المصدر نفسه، ص 366.

25- محمود زكي نجيب ، تجديد الفكر العربي ، مصدر سابق، ص 18.

« والهدف الواحد يقتضي بدوره أن نختار مايوصل إليه، وأن نتجنب ما يحول دون بلوغه »²⁶. وتبدو ملامح الفكر البراجماتي في موقفه هذا من التراث، فهو ينتقي ما يؤدي فائدة عملية في التطبيق، ومالا يحقق فائدة أوقية يتركه، وإن كان لا يقصر القيمة فقط على القيمة المادية، بل يوسع من مجالها ليضيف القيم الوجدانية والنفسية. واستفادة المفكر "زكي نجيب محمود" من التراث تتمثل في إستفادة متعددة الجوانب، وهذه الجوانب هي:

1.4 الجانب الأول: تمثل الإتجاه العقلي :

يذهب المفكر "زكي نجيب محمود" إلى أن التراث قد حوى جانبين، أحدهما عقلي والآخر لاعقلي، فقد كان للأقدمين مواقف متباينة عند الحكم على موضوعاتهم، إعتدوا في بعضها الآخر على اللا عقل، وبإختيارنا للجانب العقلي منه، يمكننا إيصال الحاضر بالماضي، وقد تمثل الجانب العقلي في التراث في الإتجاه الذي مثله المعتزلة، فيمكن أن نتمثل منهجهم موضوعاته، التي تعنيه العقلي الذاهب إلى التوسط بين الإتجاهات المتفرقة، دون أن نرثهم في موقفهم من الموضوعات، لأن لكل عصر ونسفيد من التراث أيضا، في مراحل تطور الفكر العقلي عند القدماء، ونجعله هو أيضا مخططا لتطور فكرنا، إذ أن الفكر العقلي عندهم قد تطور عبر مراحل، وبإمكاننا أن نتبع خطواتهم، ونتمثلها مع تغير فالمضمون، فقد بدأت المرحلة العقلية بمرحلة الأحكام التي هي وليدة البديهة الفطرية، ثم إنتقلت إلى مرحلة تقعيد القواعد، ورد التجارب الجزئية إلى أحكام عامة²⁷، وكانت مشكلاتهم نتيجة لإحتياجاتهم، ونبتت من واقع حياتهم، وكان للعقل مجاله في تفكيرهم، فتمثل في موقفهم من العلم وخصائص التفكير العلمي، وفي الإنتقال من الجزئي إلى الكلي، ومن المتعين إلى المجرد، وتحويل الخصائص الكيفية إلى صيغ كمية، كما تمثل العقل في مواقفهم الإنسانية، وعليه يمكن أن نستفيد من كل هذه الجوانب العقلية في حياتنا المعاصرة.

2.4 الجانب الثاني : تجنب الإتجاه اللاعقلي :

يرى المفكر "زكي نجيب محمود" أن هذا الإتجاه قد تمثل عند الأقدمين في اعتمادهم في بعض المواقف على العاطفة وحدها، والإنسان في هذه الحالة يسكن فكره، وقد ظهر هذا الإتجاه عندهم في المواقف التي ظهر فيها الإنفعالات والعواطف والرغبات، وتميزت هذه المواقف بأنها خاصة بأصحابها، ولا يمكن الاستفادة منها في حياتنا المعاصرة ، لأنها حالات: أ/- أن تختلف الصلة بين جانب الشعر والأدب والفن من جهة، والعلوم من جهة أخرى، لأن الأولى تعتمد على الوجدان، والثانية تعتمد على العقل، وهما مجالان مختلفان، وإن كانا يجتمعان معا في الإنسان الواحد. ب/- أن لا يكون هدفنا من إحياء التراث هو حفظه والوقوف عنده، بل يكون "هدفنا من إحياء التراث الأدبي، أن يكون و الرغبات، وتميزت هذه المواقف بأنها خاصة بأصحابها، ولا يمكن الاستفادة منها في حياتنا المعاصرة، لأنها وإدراكات لحظية مباشرة ، كلها من قبيل اللا عقل"²⁸ فوجب عليه الانصراف عنها وعدم تمثيلها، فيكون هذا هو الجانب الذي نهمله من التراث.

3.4 الجانب الثالث: تجنب عوامل الضعف:

26- محمود زكي نجيب ، في حياتنا العقلية ، مصدر سابق، ص 82 .

27- محمود زكي نجيب ، المعقول و اللا معقول ، مصدر سابق، ص 60.

28- ديوي جون (1969)، المنطق نظرية البحث، تر زكي نجيب محمود، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط، ص 45.

يذهب المفكر "زكي نجيب محمود" إلى أن حياة السلف السابقة، وآثارهم، قد جمعت بين إتجاهين: عوامل للقوة وعوامل للضعف، حيث مر على التراث مراحل سيطرت عليه القوة، ومراحل أخرى سيطر عليه الضعف، فوجب علينا معرفة خصائص كل منها، حتى نتجنب عوامل الضعف فيها، ونأخذ بعوامل القوة. ويحدد عوامل الضعف في ثلاثة عوامل هي: أ/- العامل الأول: إحتكار الحاكم لحرية الرأي، أي أن يكون صاحب السلطان السياسي هو في الوقت نفسه، بسبب سلطانه السياسي، صاحب الرأي بحث يمنع غيره من الناس آراؤهم، ويطرح المفكر "زكي نجيب محمود" هنا خاصية مميزة من خصائص حياتنا العربية، وهي أن الفكرة عندنا ممزوجة بشخص صاحبها وكرامته، وأن أس البلاد في مجال الفكر أن يجتمع السيف والرأي، الحاكم والفكر في يد واحدة²⁹، ولذا فينادينا بأن نتجنب هذا العامل الذي يفسد الحياة الفكرية، ويقترّب هذا العامل من العامل الثاني في أنهما يتشابهان مع ما نادى به من قبل "فرنسيس بيكون" من تحرير العقل من أوهام للمسرح، وهي الآراء التي يتبناها رجال عظماء مشهورون سواء في الحاضر أو الماضي.

ب/- العامل الثاني: "هو سلطان الماضي على الحاضر"³⁰ وهو بمثابة السيطرة التي يفرضها الموتى على الأحياء، وكان هذا العامل هو الذي قصر مفهوم بعض المعاصرين حول معنى التقدم، الذي انحصر عندهم في أنه اجترار القديم باعتبار أن العصر الذهبي هو فيما قدمه السابقون، على حين أن التقدم عند المفكر "زكي نجيب محمود" يختلف عن هذا التصور، لأن التقدم يرتبط بالتطور وإضافة الجديد، وعدم تكرار القديم، وقد رأى أن هذا العامل يفسد الفكر لأنه يؤدي به إلى الدوران فيما قاله القدماء في صورة مؤلفات متكررة.

ج/ العامل الثالث: فهو تعطيل القوانين الطبيعية والإعتقاد بأن البعض له قدرة خارقة على تعطيل القوانين الطبيعية، أو القوانين الوضعية التي تضعها الدولة، في أي وقت متى أرادت لهم أهواءهم أن يعطلوها، وهذا إلزام منه بمبدأ السببية والتلازم بين الأسباب والمسببات،³¹ وظهر هذا العامل أدى فيما قبل إلى فساد الفكر، لأنه أفسح للخرافة مجالا، وأعطاه مكان الصدارة، فظهر السحروما إليه من أمور تفتقد العقل والتفكير العقلي. فإذا كانت هذه العوامل هي ما أدت إلى تخلف القدماء فيما مضى، فواجب علينا الإستفادة من تجاربهم، حتى نتجنب الوقوع في مثلها.

4.4- الجانب الرابع: الأخذ بعوامل القوة :

يحدد المفكر "زكي نجيب محمود" عوامل القوة في عدة جزئيات، يرى أن هذه الجزئيات كانت هي العوامل التي دفعت الفكر العربي قديما نحو التطور، وعلينا أن نتمثل هذا الجانب، فهو غذاء صالح يمكن لنا الإستفادة من القدماء فيه، وهذه العوامل هي : وقتتهم النقدية لما هو موروث عندهم، وما هو مستجد عليهم، فقد إستطاع أسلافنا الأوائل أن يقفوا من التراث الجاهلي وقفة تحليلية، لم يقبلوه جملة، ولم يرفضوه جملة، بل قبلوا منه جانبا، ورفضوا آخر، ومثل هذه الوقفة التحليلية الناقدة، هي ما يجب علينا إتباعها، إتخاذها من القدماء. كما وقفوا من الثقافات الواردة عليها موقفا نقديا، تمثلت عندهم في

29- محمود زكي نجيب (2000)، قيم من التراث، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1، ص 210.

30- محمود زكي نجيب، تجديد الفكر العربي، مصدر سابق، ص 51.

31- المصدر نفسه، ص 57.

موقفهم من التراث اليوناني، فميزوا بين ما يحسن نقله وما لا يحسن، فلا هم كانوا عبيدا لها ولهم إستكبروا عليها، بل وقفوا منها موقف العاقل البصير، الذي يعرف ماذا يأخذ وماذا يدع³²، وهذا أيضا درس يمكن لنا أن نستفيده من القدماء.

ومن عوامل القوة أن نأخذ من التراث ما يعطينا الزاد على المواصله، ونأخذ من العلم نظرياته الحديثة، فيكون هذا هو طريق تحولنا من تخلف إلى عصرية. وننتقل بهذا من معرفة قوامها الكلام إلى معرفة قوامها الآلة التي تصنع، ولا نأخذ من العلم القديم مجرد روايات تحفظ في كتب، بل نأخذ منه إصرارا على تحقيق النجاح في العلم كما نجحوا.

وإذا تحقق لنا هذا نكون قد سرنا خطوتين، خطوة نجمع بها ما قد وصل إلينا من أمهات الحقائق، نتلوها بخطوة نمتص فيها رحيق المعارف و نستوعبها لنحولها إبداعا جديدا، أما إذا ظللنا نكرر العلم القديم كما هو، لقضي علينا بالركود والإنطفاء، وهذا الوضع يظهر عندما "يسيطر فيها التراث وحده على العقول، وينصرف الدارسون إلى حفظ ما يتلقونه من مأثورات الأولين، ليخرجوها في المناسبات المختلفة، فتخرج وكأنها موميאות محنطة"³³. أما الصورة الصحيحة التي صاغ فيها المفكر "زكي نجيب محمود" ثنائية الموروث والوفاة، أو الأصالة والمعاصرة، فكانت أن نأخذ من السابقين منهج العقل وعوامل القوة، مضافا إليها اللغة والقيم التي أساسها من الدين، ونضيف إلى هذا كله العلم الحديث بمناهجه الجديدة وتقنياته العصرية، فنجمع من الدين الحوافز، ونأخذ من العلم والوسائل، أو نأخذ من التراث الإطار ونملأ هذا الإطار بمضمون جديد من علوم الغرب، فيكون لنا بذلك موقفنا المتميز الذي نشارك به عالمنا الحالي "فنشارك العالم في علومه، وننفرد بما هو وجداني قومي خاص، وأهم ما في هذا الجانب الوجداني الخاص المميز، عقيدتنا الدينية"³⁴، فالعقيدة الدينية والدين هما أبرز عناصر الهوية الذاتية³⁵ التي تتمثل به وجهة نظرنا. وهكذا يتحول الدين من كونه إيمانا بعقيدة ثابتة، إلى كونه أحد عوامل القوة التي نستقيدها من تراثنا، ويتحول الدين إلى عمل أو باعث على العلم، و يتحول الفكر من كونه مجرد فكر ديني إلى إرادة تخرج إلى مجال السلوك فنأخذ منه حافزا يحرك الإرادة إلى صنع علم جديد³⁶.

وهكذا ينتهي المفكر "زكي نجيب محمود" إلى تحديد أهم المواضع التي يجب أن نلتزم بها ونأخذها من التراث، لأنها من الغذاء والقوة التي تدفعنا إلى الأمام، وهي الثقافة والهوية التي تميزنا عن الآخرين وتجعل لنا وجهة نظر خاصة، هذه الرؤية تبنى في أغلبها على الدين، فيكون الدين هو أهم عناصر التراث الواجب علينا الأخذ بها، والإستفادة منها في حياتنا المعاصرة.

خاتمة:

32- محمود زكي نجيب، (1978)، أفكار و مواقف، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، ص187.

33- محمود زكي نجيب، قيم من التراث، مصدر سابق، ص178.

34- محمود زكي نجيب (1973)، قصة عقل، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، ص190.

35- محمود زكي نجيب (1987)، رؤية إسلامية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، ص ص 124-125.

36- محمود زكي نجيب (1982)، هذا العصر وثقافته، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2، ص242.

نصل في الأخير من طرحنا لإشكالية "التراث في خطاب زكي نجيب محمود الفلسفي" إلى النتائج الآتية:

أولاً/ أن الفيلسوف "زكي نجيب محمود" بعد أن كان يدعو إلى الأخذ الكامل بالمطلق بثقافة الغرب وحضارته، على اعتبارها حضارة العصر، تغير مع تطور الحركة القومية التي رأت في الغرب عدو الأمة العربية ومستعمرها، فيجب نبذ حضارته.

ثانياً/ قام المفكر "زكي نجيب محمود" بتقسيم تراثنا العربي إلى قسمين: قسم معقول، وقسم لامعقول، ويرى أنه يتوجب علينا، أن نأخذ عن أسلافنا وجهات النظر بعد تجريدها من مشكلاتها الخاصة، التي جعلوها موضع بحث، لأنه بعد جدا لتناول الزمن بيننا وبينهم، أن تكون مشكلاتنا الحياتية اليوم هي نفس مشكلاتهم. وأن ننظر للأمور بمثل ما نظروا، وأنحتكم في حلولنا في مشكلاتنا إلى المعايير نفسها التي كانوا قد إحتكموا إليها. ومثل هذه الوقفة التحليلية الناقدة هي ما يجب علينا إتباعها، وإتخاذ نظرة العرب القدماء العقلانية.

ثالثاً/ إتجه المفكر "زكي نجيب محمود" نحو "التراث العربي الإسلامي" بحثاً ودراسة وتحليلاً، وإكتشف أن فيه عناصر إيجابية مشرقة يجدر الأخذ بها، وبهذا يكون قد دخل مرحلة فكرية جديدة تشكل نقلة نوعية في مسيرته الفكرية.

رابعاً/ لم يعد المفكر "زكي نجيب محمود" ينظر إلى حضارة الغرب على أنها كل صالحة للأخذ بها، وأن التراث على أنه كل يرفض. بل أصبح يرى في كليهما عناصر صالحة للأخذ بها وأخرى فاسدة، وهذا يعني أنه قد حلل كلا من التراث وحضارة العصر إلى عناصره، بعضها صالح للأخذه، وبعضها غير صالح. فأصبح السؤال المطروح لديه: "كيف يتاح للعربي المعاصر أن يتابع السير على طريق العربي القديم للحيي عصريته وعصريته وعروبه معا؟".

خامساً/ في هذه المرحلة الجديدة دعا المفكر "زكي نجيب محمود" إلى الأخذ من حضارة الغرب وليس أخذها كلها، وإلى الأخذ من التراث العناصر العقلانية، التي يمكننا بها مواكبة تقدم العصر، وهذه المرحلة إمتدت معه وحتى وفاته عام 1993.

سادساً/ إن المفكر "زكي نجيب محمود" نظر إلى ثقافة الأقدمين أو المعاصرين على أنها "طرائق عيش"، فإذا كان عند السلف طريقة تفيدنا في معاشنا الراهن. أخذنا بها وكان ذلك هو الجانب الذي نحياه في "التراث" أما ما لا ينفع نفعاً عملياً فهو الذي نتركه غير آسفين. وهكذا تتمثل قيمة التراث عنده في كونه مجموعة من وسائل تقنية نأخذها عن السلف والعقل هنا يتجسد في نظريته لتراثنا على أنه فاعلية وتطبيق. ويرى أنه يتوجب علينا أن نقف الوقفة نفسها من ثقافة معاصرنا من أبناء أوروبا وأمريكا. وفي مثل هذه الوقفة من كلا الطرفين "التراث والمعاصرة" تكون تحولنا من التخلف إلى التقدم والمعاصرة التي ينشدها المفكر "زكي نجيب محمود".

ومنه نقول أنه من تراث الماضي تتكون الشخصية الفريدة، التي نتميز بها عن سائر الأمم، ومن ثقافة الحاضر، تستمد عناصر البقاء والدوام في معترك الدول، فالأمة العربية عربية بما روثته عن الأسلاف من عوامل أهمها: العقيدة واللغة

ومواضيعات العرف والتقاليد، واستطاعت الصمود في دوامات هذا العصر، بقدر ما استطاعت أن تسير حضارة هذا العصر، في مركب واحد، يكون هو الثقافة العربية المعاصرة .

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- السنة النبوية الشريفة.

أولا/ قائمة المصادر:

- 1/ محمود زكي نجيب، (1973)، قصة عقل، دار الشروق، القاهرة ، ط1.
- 2/ محمود، زكي نجيب، (1974)، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري ، دار الشروق، القاهرة ، مصر، ط 2.
- 3/ محمود، زكي نجيب، (1978)، أفكار ومواقف، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط2م.
- 4/ محمود، زكي نجيب، (1981)، في حياتنا العقلية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 2.
- 5/ محمود، زكي نجيب، (1982)، هذا العصر وثقافته، دار الشروق ، القاهرة، مصر، ط2.
- 6/ محمود زكي نجيب، (1982)، ثقافتنا في مواجهة العصر، دار الشروق ، القاهرة مصر ط3.
- 7/ محمود زكي نجيب، (1987)، تجديد الفكر العربي، دار الشروق ، القاهرة مصر، ط5.
- 8/ محمود، زكي نجيب، (1987)، رؤية إسلامية، دار الشروق، القاهرة مصر، ط1.
- محمود زكي نجيب، (1993)، عربي بين ثقافتين، دار الشروق للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2.
- 9/ محمود، زكي نجيب، (1993)، قصة نفس، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط4.
- 10/ محمود، زكي نجيب، (2000)، قيم من التراث، دار الشروق، القاهرة، مصر، دط.

ثانيا/ قائمة المراجع:

- 1/ الجابري محمد عابد، (1991)، التراث والحدثة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1.
- 2/ حنفي حسن، (1992)، موقفنا من التراث القديم، المؤسسات للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، ط 4 .
- 3/ حنفي حسن، (1998)، التراث الإسلامي، " دراسة تاريخية ومقارنة"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط.
- 4/ ديوي جون، (1969)، المنطق نظرية البحث، تترزكي نجيب محمود، دار المعارف، القاهرة، مصر، دط.

ثالثا/ المعاجم والموسوعات:

- 1/ ابن منظور، (1992)، لسان العرب، مج2، دار صادر، بيروت، لبنان، ط2.
- 2/ شوقي، ضيف، (2004)، المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، مصر، ط4.
- 3/ نبيل عبد السلام، هارون، (1994)، المعجم الوجيز، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، مصر، دط.

رابعا/ المجلات والرسائل والمقالات والدوريات:

1/ بن حامد عبلة، (2016، 2017)، مفهوم التراث في النقد الحديث: المرايا المقعرة لعبد العزيز حمودة، مذكرة لنيل شهادة الماستر، في تخصص الأدب العربي، كلية أداب ولغات، جامعة محمد بوضياف"، المسيلة"، السنة الجامعية.